بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

(أما بعـد)

فإن موضوع اللهو واللعب ، أو الترويح والترفيه ، من الموضوعات الحيّة والمهمة ، التى عرفها الناس فى شتى البلدان ، ومارسوها فى مختلف الأزمان ، والتي دخلت حياة الناس في هذا العصر بقوة ، وأمسوا يواجهون منها صنوفًا وألوانا .

منها الفردي ومنها الجماعي ، منها الشعبي ومنها الرسمي .

منها ما هو من جنس الرياضات ، ومنها ما هو من جنس الفنون ، ومنها ما هو من جنس الشعوذة وخفة اليد .

منها ما يقرأ ، ومنها ما يسمع ، ومنها ما يشاهد .

منها ما يمارس على مستوى فرد وآخر ، ومنها ما هو على مستوى الجماهير .

منها ما هو محلي أو إقليمي ، ومنها ما هو دولي وعالمي .

منها ما هو طيب نافع ، ومنها ما هو خبيث ضار .

والناس إزاء هذه الصنوف والألوان من اللهو والترفيه ، يسألون : ما حكم الشرع في هذه الأنواع كلها ، والممارسات المختلفة باختلاف الأقطار والبيئات ، واختلاف المذاهب والفلسفات ، وقبل ذلك : اختلاف الديانات والحضارات ؟

فلا زال الناس في ديارنا ـ برغم ضخامة الغزو الفكري والثقافي والاجتماعي ، وتمكنه من الهيمنة على مساحات كبيرة من حياتنا ، وتأثيره في فكرنا ووجداننا وإرادتنا ـ يسألون أبدا : ما موقف الدين من هذه المسألة أو تلك : أهو مقبول أم مرفوض ؟ وما حكم الشرع في هذا الأمر : أهو حلال أم حرام ؟

أجل لا يزال الدين ـ رغم كل شيء ـ هو الموجّه الأول ، والمؤثّر الأول ، والمحرّك الأول ، للجمهرة العظمى من أبناء الإسلام ، ولا سيما بعد عصر الصحوة الإسلامية ، الذي ظهر وتجلى في السبعينيات وما بعدها من القرن الماضي (القرن العشرين) . والتي كانت صحوة شاملة لمسنا آثارها على العالم العربي ، والعالم الإسلامي ، وعلى الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامي .

لقد كانت هذه الصحوة عامة وشاملة : كانت صحوة عقول وأفكار ، وكانت صحوة عواطف ومشاعر ، وكانت صحوة إرادات وعزائم ، وكانت صحوة أخلاق وسلوك ، وكانت صحوة دعوة وجهاد .

بعد هذه الصحوة عزَّ أمر الدين ، وقويت نزعة التدين ، حتى دخل ساحة الفن ، وغزا الفنانين في عقر دارهم ، وقد كان الغالب عليهم ـ أو على كثير منهم ـ قبل ذلك : البعد عن الدين والسخرية بأهله .

فإذا نحن أمام ظاهرة جديدة ، هي توبة الفنانين والفنانات ، ولا سيما الفنانات ، اللائي تحولن إلى داعيات متحمسات للإسلام .

وإزاء أسئلة الجمهور المتكاثرة حول اللهو واللعب والترويح والترفيه ، واتساع مساحته اتساعا كبيرا ، وما جدّ فيه من وسائل متنوعة ، وآليات حديثة : تفاوتت إجابات أهل الفتوى ـ كما هي العادة ـ بين مضيق وموسع ، وبين مشدد وميسر ، بل بين من يسرف في التشديد والتضييق ، حتى يكاد يجعل كل شيء حراما .. ومن يسرف في الترخيص والتسهيل حتى يكاد يجعل كل شيء حلالا . وهكذا ضاعت الحقيقة ـ وضاع الناس معها ـ بين الغلو والتسيب . والخير في المنهج الوسط، للأمة الوسط ، لا إفراط ولا تفريط ، لا طغيان فى الميزان ، ولا إخسار في الميزان .

والتضييق في مجال اللهو والترويح ليس كله من تصرف العلماء والمشايخ في عصرنا ، فقد وجدنا هناك من علماء السلف والخلف قبلنا : من ضيّق في مجال اللهو واللعب والترويح ، إلى جوار من وسّع فيه ، ورخّص في الاستمتاع به .

ومن نظر في النصوص الجزئية للشريعة : لم يجد في مُحْكم القرآن الكريم ، ولا في صحيح السنة النبوية : ما يحظر اللهو واللعب ، إلا ما صاحبه أمر محرم شرعا ، أو أدّى إلى مفسدة محققة أو مرجّحة .

ومن نظر في النصوص العامة للشريعة ـ التي تنبئ عن مقاصدها الكلية ـ وجدها تبيح الطيبات ، وتحرم الخبائث . والطيبات ليست أمرا خاصًا بالمأكولات ، كما يتصور بعض الناس ، بل منها ما يتعلق بالملبوسات والمرئيات والمسموعات والمشمومات ، مما تستطيبه وتتلذذ به الحواس المختلفة من البصر والسمع والشم والذوق واللمس وغيرها .

بل نجد في نصوص القرآن ما يدل على شرعية اللهو ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ** ﴾ [الجمعة:١١] .

فعطفُ التجارة على اللهو يُنبئ بأنهما في المشروعية سواء ، وإنما الذي ذمّه الله تعالى : هو انشغالهم باللهو والتجارة عن رسول الله ﷺ ، وذلك حين تأتي القافلة محملة بالبضائع ، وما يصحبها من الطبل والغناء واللهو ، فينفضون إليها ويتركونه في المسجد قائما .

كما نجد في نصوص السنة : أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يرقصوا بحرابهم في مسجده ، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهي متعلقة به ، كما سمح للجاريتين أن تغنيا وتضربا بالدف في بيت عائشة ، وكان موجودا ، وذلك في يوم عيد . معللا ذلك بقوله : « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة . إني أرسلت بحنفية سمحة ! » [1]

وكان عليه الصلاة والسلام يمزح مع زوجاته ، ومع أصحابه ، ولا يقول إلا حقا ، وكان أصحابه على نهجه يمزحون ويتضاحكون ، ومنهم من يبتكر (المقالب) لزملائه ورفاقه ، مما لا يكاد يصدقه من يقرؤه الآن .

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٥٥ ، ٢٥٩٦٢) عن عائشة ، وقال محققو المسند : حديث قوي وهذا سند حسن .

وهذا كله فَرَضَ علينا أن نبحث فقه هذا الأمر الموصول بحياة الناس اليومية أفرادا وأسرا وجماعات : أمر اللهو والترويح ، وهو متصل اتصالا وثيقا بالإعلام وبالفن ، وأن نبحث في أحكامه الشرعية وفق منهجنا الوسطي الذي ارتضيناه ، بعيدا عن غلو المتنطعين ، وتسيّب المتحللين ، معتمدين على مصادرنا الأصلية من كتاب الله تعالى ، والسنة الصحيحة لرسوله ﷺ ، وهدي الصحابة ، والنظر في مقاصد الشريعة .

وقد انتفعنا ـ على طريقتنا ـ بالفقه المذهبي على اختلاف مدارسه ، مما كتبه المتقدمون ، أو كتبه المتأخرون ، ولم نتقيد بمذهب واحد ، بل استفدنا من كنوز هذه التركة الثرية العظيمة ، وانتقينا منها ما نراه أصح دليلا ، وأقوم قيلا ، وأهدى سبيلا ، موازنين بين نصوص الشرع الجزئية ، ومقاصده الكلية ، لا نضرب إحداها بالأخرى ، بل نفهم الجزئيات في إطار الكليات ، ونرد الفروع إلى الأصول ، موقنين بأن الشريعة لا تتناقض ، ولا يكذب بعضها بعضا ، وبأنها تراعي كل ما فيه الخير للناس ، بجلب المصالح وتكثيرها لهم ، ودرء المفاسد عنهم ، أو تقليلها بقدر الإمكان .

وقد يقتضينا البحث والموازنة أن نناقش الحكم من جذوره ، ونرجع إلى الأدلة ـ وخصوصا ما كان من السنة النبوية ـ لنناقش مدى ثبوتها ومدى دلالتها ، ملتزمين بالمنهج العلمي الذي وضع سلفنا أصوله وطبقوه بالفعل .

وأنا على منهجي ألتزم التيسير ـ ما استطعت ـ على عباد الله ، وبخاصة أن ديننا قام على اليسر ورفع الحرج ، وما جعل علينا ربنا في الدين من حرج ، وهو يريد أن يخفف عنا برحمته ، لأنه خلقنا ضعفاء .

وقد أمرنا رسولنا بالتيسير أمرا عاما ، فقال في الحديث المتفق عليه عن أنس : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[1]. فمنهجنا هو منهج النبوة . ولم نبتكر شيئا من عند أنفسنا ، وما خُيِّر رسولنا الكريم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما .[2]

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم (٦٩) ومسلم في كتاب الجهاد والسير(١٧٣٤) .

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه عن عائشة ، ونصه : «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا» . رواه البخاري فى الحدود (٦٧٨٦) ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧) وهذا لفظ البخاري .

والتيسير على الخلق في هذا العصر ألزم من أي زمن مضى ، لغلبة دواعي الفساد ، وكثرة المغريات بالرذيلة ، والمعوقات عن الفضيلة ، وانتشار شياطين الإنس ، الذين ربَّما غدوا أخطر من شياطين الجن .

ومن قواعد الشرع المعروفة : المشقة تجلب التيسير . وإذا ضاق الأمر اتسع . والضرورات تبيح المحذورات . والحاجة تنزل منزلة الضرورة ، خاصة كانت أو عامة. ومن المخففات المتفق عليها : عموم البلوى بالأمر .

ويعتبر هذا الكتاب تتمة لكتابي (فقه الغناء والموسيقى) [1] فما الغناء وما يصحبه من آلات إلا جزء من اللهو والترفيه ، ولكنه استغرق وحده كتابا كاملا ، لما فيه من خلاف طويل الذيول ، اقتضى منّا مناقشة مفصّلة لأدلة المانعين والمجيزين ، والترجيح بينها .

وأود أن أذكر هنا : أن أصل هذا الكتاب : كان بحثا مقدمًا لندوة (اقرأ) الفقهية الإعلامية الرمضانية سنة ٢٠٠٢م . ثم أضفت إليه عدة فصول مهمة ، كما عدلت فيه ، وهذّبت ورتبت ، لأستكمل جوانب الموضوع ، لينشر في سلسلة (تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة) التي أسأل الله تباركت أسماؤه : أن يمنحني الصحة والعون والبركة والتوفيق ، حتى تتم فيما بقي من عمري ، كما يحب الله تعالى وأحب . إنه سميع مجيب .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . واهدنا صراطك المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

الدوحة في

صفر ١٤٢٦ هـ

مارس ٢٠٠٥ م

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

---

(١) نشر مكتبة وهبة ٢٠٠١ م .

obeikandl.com

تمهيد

الإسلام دين واقعي لا يحلّق في أجواء الخيال المثالية الواهمة ، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع . ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع . ولكنه يعاملهم بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق .

لذلك لم يفرض على الناس ـ ولم يفترض فيهم ـ أن يكون كل كلامهم ذِكْرا ، وكل صمتهم فكرا ، وكل سماعهم قرآنا ، وكل فراغهم في المسجد . وإنما اعترف بهم وبفطرهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها ، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ، ويضحكون ويلعبون ، كما خلقهم يأكلون ويشربون .

ساعة وساعة :

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغا ظنوا معه أن الجد الصارم ، والتعبد الدائم ، لا بد أن يكون ديدنهم ، وأن عليهم أن يديروا ظهورهم لكل متع الحياة ، وطيبات الدنيا ، فلا يلهون ولا يلعبون ، بل تظل أبصارهم مشدودة إلى السماء ، وأفكارهم متجهة إلى الآخرة ومعانيها ، بعيدة عن الحياة ولهوها . وتظل أعينهم من خشية الله دامعة ، وقلوبهم من ذكر الله خاشعة ، وأكفهم إلى الله ضارعة ، فإذا تخلّوا عن هذه الحال الربانية الراقية بعض الأوقات اتهموا أنفسهم بالنفاق .

ولنستمع إلى حديث هذا الصحابي الجليل حنظلة الأسيدي ـ وكان من كُتّاب رسول الله ﷺ قال يحدثنا عن نفسه : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ .

قلت : نافق حنظلة ! !.

قال : سبحان الله ! ما تقول ؟

قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين

(أي كأنا بحال من يراهما بعينه) فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات (معاش الإنسان من مال أو حرفة) فنسينا كثيرا ! !.

قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ! .

قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ .

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ! .

فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك » ؟ ؟ .

قلت : يا رسول الله .. نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا !

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ! إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ثلاث مرات [1]. أي كرَّر عليه الصلاة والسلام كلمة (ساعة وساعة) ثلاث مرات ، تأكيدًا لأهميتها .

واقتباسا من هذا الحديث أخذ الناس مثلهم القائل : ساعة لقلبك ، وساعة لربك .

وقد روى الأصمعي أنه رأى امرأة في البادية ، قامت فصلت صلاة متقنة مطمئنة ، فلما فرغت من الصلاة وقفت أمام المرآة تتجمل وتتزين . فقال لها الأصمعي : أين هذا من هذا ؟ فأنشدت تقول :

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب !

قال : فعرفت أنها امرأة ذات زوج تتجمل له ، وتتحبب إليه .

ومن الحكم المأثورة : وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا إلا لثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير مُحَرّم [2] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب التوبة (٢٧٥٠) .

(٢) جزء من حديث طويل سأل فيه أبو ذر رسول الله ﷺ عن صحف إبراهيم وأوله : « كانت أمثالاً كلها » . و رواه ابن حبان (٧٨/٢) والبيهقي فى الشعب (٤ / ١٦٥) وأحمد فى الورع (١٩٥) وذكره الألباني فى ضعيف الترغيب (١٣٥٢) .

الرسول الإنسان :

والمثل الإنساني الأعلى ، والأسوة الإنسانية المُثْلَى في ذلك هو الرسول الخاتم محمد ، فقد كانت حياته ﷺ مثالا رائعا للحياة الإنسانية المتكاملة : فهو في خلوته يصلي ويطيل الخشوع والبكاء حتى تتورم قدماه ، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله ، ولكنه مع الحياة والناس بشر سويّ ، يحب الطيبات ، ويبش ويبتسم للناس ، ويلاعب الأطفال ، ويداعب أزواجه ، ويطيب نفوسهن ويمزح ولا يقول إلا حقا .

كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه ، ويكره الحزن وما يدفع إليه من ديون ومتاعب ، ويستعيذ بالله من شره ، ويقول :«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»(١).

وما يُروى عنه من قوله ﷺ : «لست من دد ولا الدد مني»(٢) والدد : اللهو واللعب ، فهو حديث ضعيف ، لا يُبنى عليه حكم . على أنه لو سُلّم بثبوته لكان معناه : أن أعباء الرسالة ، وهموم الدعوة والأمة ، وإقامة دين الله في الأرض ، ومواجهة الجبهات المعادية لدعوته ، من الوثنيين واليهود والمنافقين وغيرهم ، لم تترك له مجالا للّهو في حياته . وهذا لا يستلزم تحريم اللهو واللعب . وهذا كما يقول أحدنا : أنا لا أعرف الإجازات ، فلا يعني هذا : أن الإجازات محظورة ، ولكن معناه أن ظروفه لا تسمح له بالإجازات .

ولذا ردّ العلامة المناوي على من استدل بالحديث على تحريم الغناء ونحوه ، مثل القرطبي ، قال : وهذا ليس بسديد ، إذ ليس كل لعب ولهو محرما ، بدليل لعب الحبشة بمسجد المصطفى ﷺ بمشهده (٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٧٦) من حديث أنس : أنه كان يستعيذ بالله من جملة أمور ، منها : الهم والحزن .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي في السنن عن أنس ، والطبراني في الكبير عن معاوية ، ورواه ابن عساكر والطبراني والبزار عن أنس بزيادة : «ولست من الباطل ، ولا الباطل مني» وقد ذكرهما الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٤٦٧٦ / ٤٦٧٧).

(٣) فيض القدير (٥ / ٢٦٥) .

القلوب تمل :

وكذلك كان أصحابه الطيبون الطاهرون ، يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندرون ، معرفة منهم بحظ النفس ، وتلبية لنداء الفطرة ، وتمكينا للقلوب من حقها في الراحة . واللهو البريء ، لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجد ، وإنه لطريق طويل .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : روحوا عن القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان [1].

---

(١)رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢ / ١٢٩) .

obeikandl.com